مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (1)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (1) 2011

ڤولفغانغ إيزر وآلية إنتاج المعنى

الدكتور وائل بركات *
الدكتورة لطفية برهم**
نضال القصيري ***

(تاريخ الإيداع 7 / 11 / 2010. قبل للنشر في 16 / 1 / 2011)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث إلى مقاربة آليّة إنتاج معنى العمل الأدبيّ كما جاءت لدى ڤولفغانغ إيزر (Wolfgang Iser) الذي يعدّ وأستاذه هانس روبرت ياوس (Hans Robert Jauss) من أهمّ مؤسّسي نظرية التلقي في مدرسة كونستانس الألمانيّة؛ إذ ذهب إيزر إلى أنّ إنتاج معنى العمل الأدبيّ لا يكون إلاّ من خلال المتلقي، وفي حالة غيابه يفقد النصّ معناه، فالمعنى ينتج من التفاعل الحاصل بين البنية اللغويّة للنصّ الأدبيّ، وفعل الفهم لدى المتلقي. وبعبارة أخرى : في نقطة التفاعل بينهما.

ويربط إيزر إنتاج المعنى بمفهومات هي: القارىء الضمني، ومفهوم الذخيرة، والاستراتيجية النصّية، إضافة إلى مفهومي وجهة النظر الجوّالة، ومفهوم الفراغات.

الكلمات المفتاحية : المعنى، الذخيرة، الاستراتيجية النصّية، الفراغات.

* أستاذ في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق–دمشق–سورية.
** أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين–اللاذقية–سورية.
*** طالبة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين–اللاذقية–سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (1)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (1) 2011

Wolfgang Iser et le mécanisme de la production du sens

Dr. Wael Barakat *
Dr. Loutfieh Barham
Nidal Alkousairy ***

(Déposé le 7 / 11 / 2010. Accepté 16 / 1 / 2011)

□ Résumé □

Cette recherche vise à étudier le mécanisme de la production du sens de l'œuvre littéraire selon Wolfgang Iser, considéré, avec son maître Hans Robert Jauss, comme l'un des plus importants fondateurs de la théorie de la réception de l'école Constance en Allemagne.

Iser voit que la production du sens ne peut se réaliser que par le récepteur, et qu'à l'absence de celui-ci, le texte perd son sens, le sens étant l'aboutissement de l'interaction entre la structure linguistique du texte littéraire et l'acte de compréhension effectué par le récepteur.

Wolfgang Iser suppose que la production du sens dépend de plusieurs concepts, comme : « le lecteur implicite » ; « le répertoire » ; « le stratégiee du texte » ; « le point de vue parcourant » ; « les blancs », et d'autres.

Mots-clés : *sens*, *répertoire*, les stratégies du texte, blancs.

* **Professeur Docteur ès Lettres Arabes au Département d'Arabe à l'Université de Damas.**
** **Maître de conférences ès Lettres Arabes au Département d'Arabe à l'Université Tichrine.**
*** **Étudiante de Doctorat en Littérature Arabe au Département d'Arabe à l'Université Tichrine.**

مقدّمة:

ما هي الآلية التي يكون فيها للنصّ الأدبيّ معنى لدى المتلقي؟ وكيف يُبْنى هذا المعنى؟ ومن يقوم بفعل إنتاجه؟

شكّلت الأسئلة السابقة نقطة البداية لدى المؤسّس الثاني لنظريّة التلقّي **ڤولفغانغ إيزر** إذ رأى أنّ تشكيل معنى النصّ لا يكون إلا من خلال المتلقّي، وهو ينتج عن ((**التفاعل الحاصل بين العلامات النصّية وفعل الفهم عند القارئ. ومن الواضح أيضاً أنّ القارئ لا يستطيع أن يبتعد عن هذا التفاعل، بل إنّ النص يشدّ القارئ إليه ويجعله يخلق الظروف الضرورية لفعاليّة ذلك النص. وبما أنّ النصّ والقارئ يدمجان في وضعيّة واحدة فإنّ الفصل بين الذات والموضوع لم يعد صالحاً؛ ولهذا السبب**(♦) **فإنّ المعنى لم يعد موضوعاً يستوجب التعريف به، وإنما أصبح أثراً يعاش**))[1]. ولكن إذا كان المعنى موجوداً في النص، فكيف يمكن له أن يعاش ؟

يسوّغ **إيزر** الإجابة عن هذا السؤال بقوله : ((**لمّا كان المعنى ينتج عن عملية التحقيق أو التحيين فإنّه على المؤول ألا ينتبه إلى النتيجة بقدر ما ينتبه إلى هذه العملية. ويجب أن يكون موضوعه هو كشف الغطاء عن الظروف التي تؤدّي إلى آثار النص المختلفة والممكنة، عوض شرح العمل الأدبي. فإذا أبان النص عن إمكانياته، لن يسقط في فخ محاولة فرض معنى واحد على قارئه وكأنّه التأويل الصحيح والأحسن**))[2]؛ وبذلك يكون **إيزر** قد ركّز اهتمامه على سيرورة بناء المعنى مؤكّداً أنّ العمل الأدبيّ لا يتضمّن معنى نهائياً متحقّقاً بذاته، والغاية منه ليست إعطاء معنى واحدٍ ونهائي للعالم، بل إعطاء جزءٍ من هذا المعنى؛ ((**لأنّ العمل الأدبي ليس بلا معنى مطلقاً ولا شفافاً تماماً فهو يعلّق معناه، عندما يصرّح عن نفسه كنظام دال [...]، ويتوارى كموضوع مدلول**))[3].

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن آليّة التفاعل بين البنية النصية للعمل الأدبي والبنية الذهنية للمتلقي؛ بغية تشكيل الموضوع الجمالي كما جاء لدى إيزر، ودحض آلية الفهم التقليديّ الذي ينظر إلى المعنى بوصفه وحيداً وثابتاً، يختبىء في النصّ؛ ذلك أنّ المعاني لا يمكن أن تكون ثابتة ونهائية، فهي تختلف وتتنوع تبعاً لتعدّد القرّاء، واختلاف مشاربهم، وتعاقبهم الزمني.

كما يعنى هذا البحث بالوقوف على أهمّ الخطوات التي ترافق المتلقي في أثناء فعل القراءة.

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي الذي يتكىء على الملاحظة والاستقراء والتقسيم وغيره من الأدوات، فقمنا بجمع المادة العلمية، وقسمنا البحث إلى فقرات ، وكنا نلجأ في كلّ فقرة إلى تقديم يبيّن طبيعتها، وعلام تقوم،

(♦) ورد في الأصل "وبالتالي"، والصواب : ولهذا، أو ولهذا السبب، أو لذلك...

(1) إيزر، فولفجانج : *وضعية التأويل، الفن الجزئي والتأويل الكلي*، ترجمة : أحمد بو حسن و جفو نزهة، في كتاب نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل، نصوص مترجمة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط (1)، 2004، ص (58).

(2) المرجع نفسه : ص (67).

(3) ايفرار، فرانك، وتينه إيريك : *رولان بارت، مغامرة في مواجهة النص*، ترجمة : وائل بركات، دار الينابيع، دمشق، سورية، ط (1)، 2000، ص (63).

وفي أثناء تناولنا للمعلومات والأفكار عمدنا إلى تفسيرها وتحليلها؛ بغية الوقوف على نتائج إيجابيّة تسهم في تطوير البحث العلمي.

النتائج والمناقشة:

λ إنتاج المعنى Production of meaning

يضع إيزر استراتيجيته لبناء المعنى معتمداً على ظاهراتية إنغاردن Phenomenology of Roman Ingarden في تحليله للعمل الأدبيّ من الداخل ودراسته لعملية القراءة، وخبرته بالأعمال الأدبيّة، فقد عُني **إنغاردن** بالعلاقة بين النصّ والمتلقي، ولفت الانتباه إلى ضرورة مشاركة هذا الأخير في بناء الموضوع الجمالي، وبيّن أنّ بنية العمل الأدبيّ ثابتة وإمكانيّة تحقّقه تتعدّد وتختلف من متلقٍ إلى آخر،بيد أنها مشروطة بمكوّنات البنية النصيّة، وتأثيرها في المتلقي[4].

استند إيزر في بناء استراتيجيته إلى ثلاثة أبعاد :

1- النص بوصفه موضوعاً موجوداً بالقوّة يسمح بإنتاج المعنى، وهو لا يقدّم إلا مظاهر تخطيطية تتطلّب من القارئ أن يقوم بتجسيدها.

2- فحص عملية معالجة النص في عملية القراءة، وأهميّة تشكيل الصور الذهنيّة التي تتكوّن في أثناء محاولة بناء الموضوع الجمالي.

3- بنية الأدب الإبلاغيّة التي يتم من خلالها فحص الشروط التي تسمح بقيام التفاعل بين العمل الأدبي والمتلقّي.[5]

ولكي يصف **إيزر** هذه الاستراتيجية، عَمَدَ إلى تقديم مجموعة من المفهومات تتمثّل في :

1) القارئ الضمني
2) الذخيرة
3) وجهة النظر الجوّالة
4) الاستراتيجيات النصية
5) الفراغات

λ القارئ الضمني Implied Reader

يستعير **إيزر** مفهوم القارئ الضمني من مفهوم الناقد الأمريكي **واين بوث** (Wayne Booth) حول المؤلف الضمني (Implied Author) الذي عرض له في كتاب *بلاغة الفن القصصي* (The Rhetoric of Fiction, 1961)[6]؛ وقد اعترض **إيزر** على هذا المفهوم، ورأى ((**أنّ النصّ لا ينطوي على مؤلف ضمني، وإنّما هو نوع**

---

[4] لمزيد من التفصيل، ينظر :

- هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي، مقدّمة نقديّة*، ترجمة عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، رقم السلسلة 97، ط (1)، 1994، ص (84- 98).

- شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة*، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر - الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط(1)، 2007، ص (118-129).

[5] ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (203).

[6] ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (204).

من التوجّه الضمني، الذي يتوجّه به العمل الأدبي إلى المتلقّي، وهو توجّه لا يخلو منه أي عمل، وهو أساس عملية التواصل))[7].

طوّر **إيزر** مفهوم القارئ الضمني لكي يصف العلاقة الحوارية بين النصّ والمتلقّي، ورأى أنّ العمل الأدبي لا يمكنه الانتقال من حالة الوجود بالقوّة إلى حالة الوجود بالفعل دون القارئ؛ ولهذا لجأ إلى هذا المفهوم الذي يمتد ضارباً جذوره في بنية النصّ. إنه **((بنية نصّية تتوقّع حضور متلقٍّ دون أن تحدّده بالضرورة : إنّ هذا المفهوم يضع بنية مسبقة للدّور الذي ينبغي أن يتبنّاه كل متلقٍّ على حدة [...]، و[...] يعيّن [...] شبكة من البنيات التي تستدعي تجاوباً يلزم القارئ فهم النص))**[8]؛ وبهذا يعطي **إيزر** لقارئه الضمني قيمة نصّية، وأخرى مرجعية، وهاتان القيمتان هما اللتان تميّزان مفهوم **إيزر** من غيره من التصنيفات المتعدّدة والمختلفة للقرّاء، والتي عرض لها في كتابه **فعل القراءة** لدى نقّاد أمثال **مايكل ريفاتير** (Michael Riffaterre)، **وستانلي فش** (Stanley Fish)، و**إروين وولف** (Erwin Wolf) وغيرهم.[*]

وذهب **إيزر** إلى أنّ تصنيفات أولئك النقّاد تبقى قاصرة في وصف علاقة التفاعل بين النصّ والمتلقّي؛ لأنها **((تكون ذات أساس تجريبي محض، أو ذات أساس نظري استكشافي محض))**[9]، وأوجد مفهوم القارئ الضمني الذي يمكننا من وصف الآليّة التي يقوم فيها المتلقّي ببناء معنى النصّ وفقاً لبنية النصّ نفسها، وهذا يعني أنّ هذا المفهوم يوحّد كلا من عملية بناء النصّ، وتحقيق هذا المعنى من خلال سيرورة القراءة.[10]

وبحسب المفهوم الإيزري، يقوم القارئ الضمني بتجسيد **((كلّ الاستعدادات المسبقة الضرورية بالنسبة إلى العمل الأدبي لكي يمارس تأثيره))**[11]، وهو **((ليس شخصاً خيالياً مدرجاً داخل النصّ، ولكنّه دور مكتوب في كلّ نص))**[12]، وهو يقوم بعمليّة تنسيق المنظورات الرئيسة للعمل الأدبي، بيد أنّ عمليّة التنسيق هذه **((تحدث بصورة**

---

[7] خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّة التلقّي*، دار الشرق، عمّان، الأردن، ط(1)، 1997، ص (159).

[8] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)*، ترجمة حميد لحمداني، الجلالي الكدية، فاس، المغرب، 1995، ص (30).

[*] اختلفت تسميات القارئ لدى النقّاد السابقين، فكانت القارئ المتميّز (Super Reader) لدى ريفاتير، والقارئ المخبر (Informer Reader) لدى فش، والقارئ المقصود (Intended Reader) لدى وولف.

لمزيد من التفصيل، ينظر :

- إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (20) وما بعدها.
- خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّة التلقّي*، ص (160) وما بعدها.
- زيّاد، صالح : *القارئ القياسي، القراءة وسلطة القصد والمصطلح والنموذج*، مقاربات في التراث النقدي، دار الفارابي، بيروت، لبنان،ط1، 2008، ص (23) وما بعدها.
- قديد، دياب : "*المبدع والنص والقارئ : آيزر نموذجا*"، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ع (467)، 2002، ص (64) وما بعدها.
- المتقن، محمد : "*في مفهومي القراءة والتأويل*"، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م(33)، ع (2)، 2004، ص (23) وما بعدها.

[9] شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (185).

[10] ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (204).

[11] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (30).

[12] إيزر، فولفجانج : *آفاق نقد استجابة القارئ*، في كتاب نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل، نصوص مترجمة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2004. ص (71).

انتقائيّة وجزئية وشرطية، ولكن هذه الشرطية ذات أهميّة قصوى لتلقّي العمل. ولذلك فإنّ دور القارئ الضمني يجب أن يكون نقطة الارتكاز لبنيات النص التي تستدعي استجابة [...]؛ لأنّ النصّ ذاته لا يقدّم إلا التوجيهات التي يجب أن تجرى إذا كان النصّ سيتّخذ معنى))[13]. وهذا يعني أنّ عمليّة التنسيق تكون مبنيّة بشكل مسبق داخل العمل الأدبي، والقارئ الضمني لا يمكنه التطابق مع أيّ قارئ حقيقي، والدور الخاص الذي يسند إلى القارئ الحقيقي ليقوم به هو الذي يكوّن مفهوم القارئ الضمني؛ لهذا جعل **إيزر** هذا المفهوم نموذجاً متعالياً (Transcendental Model)[*] يسمح بوصف التأثيرات المبنيّة للأعمال الأدبيّة، ويحدّد دور القارئ، ويعرّفه من خلال بنية النصّ والأفعال المشيّدة فيها، بيد أنّ دور القارئ يمكن أن يُؤدّى بطرق مختلفة؛ وذلك وفقاً للظروف التاريخية والفردية، وهنا، تظهر الوظيفة الحيوية لمفهوم القارئ الضمني الذي يمثّل إطاراً مرجعياً تعود إليه جميع تحقيقات النص التاريخية والفردية، ويجعلها قابلة للتحليل[14]؛ وبذلك يكون **إيزر** قد حدّد مفهومه للقارئ الضمني الذي يعدّ من أهمّ الأدوات الإجرائيّة التي تمكّن من وصف علاقة التفاعل بين البنية النصيّة والمتلقي.

λ الذخيرة [*] Repertoire

يرى **إيزر** أنّ العمل الأدبي لا ينبغي النظر إليه بوصفه ممثّلاً شيئاً ما معطى عن الواقع، بل بوصفه تحويلاً **((للواقع الموضوع؛ ولذلك فإنّه يحمل للعالم شيئاً لم يكن موجوداً من قبل))**[15]، وهذا يعني أنّ الأدب يقوم بوظيفة

---

[13] المرجع نفسه : ص (71).

[*] جعل إيزر مفهوم القارئ الضمني "نموذجاً متعالياً" متأثّراً بالفلسفة الظواهريّة التي أعلت من شأن الذات البشريّة التي لا يمكن الاستغناء عنها في بناء موضوعات العالم، والتي أسمتها بـ "الذات المتعالية" (Transcendental).

[14] ينظر : إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (30 ، 34).

[*] تعدّدت ترجمات هذا المصطلح، واختلفت بين الباحثين نذكر على سبيل المثال :

- "رصيد النص" : ينظر :
  - هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (208).
  - أبو أحمد، حامد : *الخطاب والقارئ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة*، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، السعودية، ع (30)، 1996، ص (143).
- "السجل النصّي" : ينظر :
  - خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّ التلقّي*، ص (153).
  - شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (193).
  - شويرويجن، فرانك :نظريات التلقّي، في كتاب *نظريات القراءة (من البنيوية إلى جمالية التلقّي)*، ترجمة : عبد الرحمن بو علي، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط (1)، 2003، ص (144).
- "الذخيرة" : ينظر :
  - إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (55).
  - آيزر، فولفغانغ : *عملية القراءة : مقترب ظاهراتي*، في كتاب *نقد استجابة القارئ من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية*، تحرير : جين ب. تومبكنز، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم، مراجعة وتقديم: محمد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص (132).
  - عروي، محمد إقبال : "*مفاهيم هيكليّة في نظريّة التلقّي*"، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م (37)، ع (3)، 2009، ص (53).

[15] إيزر، فولفجانج : *آفاق نقد استجابة القارئ*، في كتاب *نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل*، ص (71).

إبلاغيّة مفادها التعرّف إلى ردّ فعل العمل الأدبي على الواقع الخارجي، وذلك من خلال التفاعل الدينامي بين النصّ والمتلقّي.

ولكي يتمكّن الأدب من القيام بوظيفته هذه استند إلى مجموعة من المواضعات المنتقاة من سياقات ثقافية واجتماعية وتاريخية وأدبية، تشكّل في مجموعها حقولاً مرجعيّة خارج النصّ، وهذا ما يسمّى بالذخيرة. وهي تشكّل مكاناً مألوفاً لالتقاء النص والمتلقّي من أجل البدء في عمليّة التفاعل لإنتاج المعنى[16]؛ وهذه المواضعات تسمح للمتلقّي أن يصف **((ما لم يصرّح به النص وينوي الوصول إليه))**[17].

صحيح أنّ النصوص الأدبية **((تنتقي موضوعاتها من العالم التجريبي))**[18]، بيد أنّها **((لا تطابق أي واقع موضوعي خارجها))**[19]، فهي تنفصل عن سياقها الأصلي، وتشكّل سياقاً خاصّاً بها، إذ إنّ المواضعات الخارج نصّية تدمج في سياق جديد، وتكتسب أبعاداً دلاليّة جديدة، لم تكن موجودة في سياقها الأصلي؛ وبذلك **((لا يمكن أن تكون متماهية مع ما كانت عليه في الأصل، كما أنّها تتّخذ شكلاً جديداً حين اندماجها في أفق النص))**[20]، ومع ذلك تستمر في إثارة واجهتها الخلفية التي جاءت منها، والتي تمكّننا من فهم دلالاتها الجديدة.

وبما أنّه في كلّ فترة زمنية تسود أنساق معيّنة، وتقصى أخرى، فإنّ العمل الأدبي يتموقع نسبة إلى تلك الأنساق السائدة بوصفها نماذج فكرية لفهم الواقع وتفسيره، وهذا لا يعني أنّ العمل الأدبي يعيد إنتاجها، بل يعود إلى ما هو منفي فيها؛ أي **((إلى ما تعلّقه هذه الأنساق أو تعطّله لأنها لا تستطيع إدماجه دون أن يزعزعها))**[21]؛ ذلك أن النصّ الأدبيّ ينتزع **((موضوعاته المنتقاة من سياقها التداولي، و [...] يحطّم إطارها المرجعي الأصلي، والنتيجة هي كشف المظاهر (مثلاً مظاهر الأعراف الاجتماعية) التي كانت قد ظلّت مخفيّة قدر بقاء الإطار المرجعي سليماً))**[22]. وبتعبير آخر : إنّ النصوص الأدبيّة **((تغير على أنساق الفكر وتغيّر بنياتها ووظيفتها [...] عن طريق إعادة تنظيم العلاقة بين المهيمن والمحايد والمنفي من المعايير))**.[23]

وهنا، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الانتقاءات (selections) التي يقوم بها المبدع والمتلقّي تتضمّن **((آلياً الإقصاء، وذلك الشيء الذي يُقصى يبقى على الهوامش كمجال احتمالي من الروابط، والقارئ هو الذي يكشف عن شبكة العلاقات الممكنة، كما أنّه هو الذي يقوم بالانتقاء من تلك الشبكة))**[24]. وبهذه الآليّة يتم التفاعل بين النصّ والمتلقّي ويتشكّل الموضوع الجمالي، كما يُظهر فعل الانتقاء موقف كلّ من مؤلّف النصّ ومتلقّيه من المحيط الخارجي بطريقة غير مباشرة.

وهكذا، تقدّم الذخيرة المساعدة والعون للمتلقّي كي يتمكّن من رؤية ما لم يكن يراه خلال مسيرة حياته اليوميّة بعد أن يقوم بتنظيم المواضعات الخارج نصّية بشكل أفقي فتتجاور، وتتآلف، وتتبادل الإضاءة فيما بينها، بحيث يتم

---

[16] ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (208).

[17] إيزر، فولفجانج : *آفاق نقد استجابة القارئ*، في كتاب *نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل*، ص (80).

[18] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (57).

[19] آيزر، فولفغانغ : *عملية القراءة : مقترب ظاهراتي*، في كتاب *نقد استجابة القارئ من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية*، ص (116).

[20] عروي، محمد إقبال : "*مفاهيم هيكليّة في نظريّة التلقّي*"، ص (54).

[21] شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (195).

[22] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (57).

[23] إيزر، فولفجانج : *آفاق نقد استجابة القارئ*، في كتاب *نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل*، ص (80).

[24] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (79).

إدراك كل ما هو مُقصى ومنفى فيها؛ وبذلك تكتسب الذخيرة لدى **إيزر** وظيفة مزدوجة تتمثّل في إعادة صياغة المخطط المألوف لتشكيل خلفيّة لعمليّة التفاعل، وتقديم إطار عام يمكن من خلاله تنظيم معنى النص[25] من قبل المتلقّي. ولكن كيف يتم هذا التنظيم ؟ وهل هناك استراتيجية ما لذلك ؟ ثمّ ما علاقة هذه الاستراتيجية بالمتلقّي ؟ وما هي وظيفتها ؟

λ الاستراتيجيات النصّية Strategies of text

لكي تكون عمليّة ضبط معنى العمل الأدبي أكثر دقّة، وتجنّباً لقراءات وتأويلات تقسر النصّ على قول شيء ليس موجوداً فيه، يقوم العمل الأدبي برسم استراتيجية محدّدة تنظّم شروط تلقّيه و **((تشكّل التوجيهات العمليّة التي تقدم للقارئ مجموعة من الإمكانيات المركّبة يرتكز عليها فعل القراءة))**[26]؛ أي تقدّم الاستراتيجيات النصّية إرشادات عمليّة للمتلقّي، يبني عليها فعل القراءة الذي يقوم به، فهي استراتيجيات دينامية تقوم بفعل إرشاد المتلقّي وتوجيهه خلال انغماسه في مسالك النصّ، فتساعده على تحقيق معناه.

ولا تكتفي الاستراتيجيات النصّية بتنظيم شروط تلقّي العمل الأدبي، بل تعمل على ربط عناصر الذخيرة ببعضها؛ إضافة إلى تنظيم العلاقات الداخلية للنصّ، وهي بذلك تشتمل على بنية النصّ العميقة وعلى عمليّة الإدراك والفهم لدى المتلقّي. وهنا، ينبغي ألا نفهم هذه الاستراتيجيات على أنّها تقوم بعمليّة تنظيم كامل وشامل لكلّ من عناصر الذخيرة، وشروط تلقّي العمل الأدبي؛ لأنّ المتلقّي في هذه الحالة سيهمّش دوره، ويصادر.[27]

ويرى **إيزر** أنّ وظيفة هذه الاستراتيجيات هي **((وضع المألوف مقابل اللا مألوف))**[28]؛ لذا نراه يحدّد بنيتين اثنتين لها، هما :

1. بنية الواجهة الأماميّة، والواجهة الخلفيّة
2. بنية الموضوع والأفق.

1. بنية الواجهة الأماميّة، والواجهة الخلفيّة(*) :

تشير هذه الثنائية إلى تنظيم علاقة النص بكل ما هو خارجه، وبما يحويه من أعراف أدبية وتاريخية واجتماعية وثقافية، وغير ذلك. وكنا قد أشرنا إلى أنّ هذه العناصر الخارج نصّية عندما تنفصل عن سياقها الأصلي؛ أي عن واجهتها الخلفيّة التي جاءت منها، وتندمج في سياق جديد؛ أي الواجهة الأماميّة، تفقد مرجعيتها الأصلية،

---

(25) ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (208، 209).

(26) شويرويجن، فرانك : *نظريات التلقّي*، في كتاب *نظريات القراءة (من البنيوية إلى جمالية التلقّي)*، ص (146).

(27) ينظر :

- هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (211).
- شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (201).

(28) آيزر، فولفغانغ : *عملية القراءة : مقترب ظاهراتي*، في كتاب *نقد استجابة القارئ من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية*، ص (132).

(*) اختلفت تسميات هذه البنية، نذكر من ذلك على سبيل المثال :

- "الصدارة والخلفية" : ينظر :
  - هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (212).
- "المستوى الأمامي والمستوى الخلفي" : ينظر :
  - خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّة التلقّي*، ص (154).
- "البنيات الخلفية والقدامية" : ينظر :
  - إيزر، فولفجانج : *آفاق نقد استجابة القارئ*، في كتاب نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل، ص (77).

وتكتسب دلالات أخرى جديدة. ولا يمكننا فهم هذه الدلالات الجديدة إلا من خلال الواجهة الخلفيّة التي جاءت منها هذه العناصر؛ وبذلك تمثّل علاقة الواجهة الأماميّة/الخلفيّة بنية رئيسة، تنتج استراتيجيات النص من خلالها توتّراً يفجّر متتالية من التفاعلات المتباينة، وهذا كلّه ينحلّ مع إنتاج الموضوع الجمالي.[29]

2. بنية الموضوع والأفق :

تشير هذه البنية إلى تنظيم العلاقات الداخلية للعمل الأدبي، ويرى **إيزر** أنّ التنظيم الداخلي للأعمال الأدبية، ولاسيّما الروائية منها، تمثّل نسقاً من المنظورات المتنوّعة التي ترسم موقف الكاتب من العالم، وتسهّل للمتلقّي في الوقت نفسه عمليّة إنتاج الموضوع الجمالي. ويتكوّن هذا النسق من أربعة منظورات رئيسة هي **((منظور السارد، منظور الشخوص، منظور الحبكة، منظور القارئ التخييلي. و [...] هذه المنظورات لا يتطابق أي واحد منها بمفرده مع معنى النص))**[30]؛ لهذا لا يمكن لأي منظور بمفرده أن يحقّق الموضوع الجمالي في كليّته، بل يبقى تحقيقه مشروطاً بترابط هذه المنظورات النصيّة وتعالقها والتقائها فيما بينها، على الرغم من **((أنّ أيّاً منها لا يمثل بالفعل في النصّ، فالأحرى أن تظهر من خلال [...] عمليّة القراءة. وفي غضون هذه العمليّة يحتل [...] القارئ وجهات نظر متحوّلة))**[31]، إذ ينتقل من منظور إلى آخر، وهذا ما يجعل عمليّة بناء الموضوع الجمالي تتحقّق بشكل تدريجي في أثناء عمليّة القراءة. وعندما يهتم المتلقّي بمنظور معيّن من هذه المنظورات **((فإنّ موقفه يتكيّف وفقاً للأفق الذي هيّأته القراءة السابقة والمنظورات الأخرى. وهكذا يخلق التوتّر بين الموضوع والأفق آليّة تنظيم عمليّة الإدراك))**[32].

ولا تكتفي بنية الموضوع والأفق بتنظيم عمليّة الإدراك وبناء الموضوع الجمالي، بل يتمّ على أساسها توزيع العناصر المنتقاة من الذخيرة على مختلف المنظورات النصيّة، والتي سينجم عن كيفيّة توزيعها تقدير لتلك العناصر المنتقاة؛ لكونها وُزّعت على منظور السارد أو الشخصيات أو الحدث أو القارئ التخييلي، كأن يمثّل البطل أو الشخصيات الثانوية المعايير المنتقاة من الأنساق الاجتماعيّة والتاريخية والأدبية وغيرها، فإذا مثّل البطل تلك المعايير، عملت الشخصيات الثانوية على ازدرائها؛ وذلك لتأكيد المعايير المنتقاة، أما إذا مثّلتها الشخصيات الثانوية، فإنّ البطل يقدّم رؤية نقديّة بالنسبة إلى منظور هذه الشخصيات، مفادها العمل على نفيها وإقصائها بعيداً[33]؛ وبذلك يتم التفاعل بين بنية الموضوع والأفق لدى القارئ.

وأخيراً، يمكننا القول مع **إيزر ((إنّ الذخائر والاستراتيجيات النصيّة تقدّم فقط إطاراً يجب على القارئ أن يركّب فيه موضوعاً جمالياً لنفسه))**[34].

λ وجهة النظر الجوّالة Wandering Viewpoint

تعدّ وجهة النظر الجوّالة من المفهومات الأساسيّة التي اعتمدها **إيزر** لشرح استراتيجيّته حول بناء المعنى النصّي، فهي **((تتيح للقارئ أن يتحرّك خلال النص، كاشفاً خلال ذلك المنظورات المختلفة التي يترابط بعضها مع**

---

[29] ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (212).

[30] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (31).

[31] المرجع نفسه : ص (31).

[32] هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (212، 213).

[33] ينظر : شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (205، 206).

[34] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (55).

بعض، ثمّ تعدل من المعنى في القراءة والانتقال من منظور إلى آخر))[35]؛ لأنّ الموضوع الجمالي الذي يتشكّل في ذهن المتلقّي لا يمكن إدراكه دفعة واحدة، ولا يمكن تخيّله **((إلا من خلال المراحل المختلفة والمتتابعة للقراءة))**[36].

ولكي يصوغ المتلقّي موضوعه الجمالي، فإنّ وجهة نظره الجوّالة لا تتوقّف عن التجوال في فضاء النص الذي يتكوّن من مجموعة مراحل **((وكل مرحلة على حدة تحتوي على مظاهر الموضوع الذي ينبغي تشكيله، لكن لا يمكن لأي منها أن تدّعي بأنها تمثّله، و [...] لا يمكن للموضوع الجمالي أن يكون مطابقاً مع أي واحد من تمظهراته في أثناء(♦) مدة القراءة. ويستلزم النقص الموجود في كلّ تمظهر على حدة، وجود بعض التراكيب التي تعمل بدورها على نقل النص إلى وعي القارئ. ومع ذلك فإنّ عملية التركيب ليست متقطعة، بل تتواصل خلال كل مرحلة من مراحل رحلة وجهة النظر الجوّالة))**[37].

وقد شُبّه المتلقّي بذلك المسافر الذي يقوم بسفر صعب خلال العمل الأدبي، ولاسيّما الروائي منه، فيرى الأشياء من وجهة نظر متحرّكة، فيجمع ما يشاهده في ذاكرته، واضعاً في الوقت نفسه نظاماً متناسقاً، تعتمد طبيعته على درجة انتباه المسافر (المتلقّي) خلال رحلة معيّنة من سفره، بيد أنّه لا يمكن أن يكوّن نظرة كلّية لسفره هذا في أيّ وقت من الأوقات[38]. وهذا ما سمّاه **إيزر** بـــ(*جدليّة الترقّب والتذكّر* Pretension and Retention) التي تحدث في كلّ لحظة من لحظات القراءة، فتعبّر **((عن أفق مستقبلي، هو في حالة انتظار لأن يُحتلّ مجاله، وكذلك تعبّر عن أفق ماض (يضمحل باستمرار) وقد مُلئ سابقاً؛ وتشقّ وجهة النظر الجوّالة طريقها عبر الأفقين [...] وتتركهما يندمجان معاً خلفها. ولا مفرّ من هذه العمليّة؛ لأنّ النصّ [...] لا يمكن فهمه بكامله في لحظة واحدة من اللحظات))**[39]؛ وهذا يعني أنّ جدليّة الترقّب والتذكّر تشير إلى **((التوقّعات المعدّلة والذكريات المحوّلة))**[40] التي يجريها المتلقّي في أثناء عمليّة القراءة، فعندما يقرأ عملاً أدبياً يحاول أن يدرك الأحداث ويفهمها استناداً إلى توقّعاته المستقبليّة، والخلفيّة الفكريّة التي تعود إلى الماضي، وإذا حدث شيء ما غير متوقّع خلال عمليّة القراءة، يقوم بإعادة صياغة توقّعاته، وكذلك تفسيره المعنى وفقاً لهذا الحدث الجديد[41]؛ وبذلك يتخلّى المتلقّي في كل مرحلة جديدة من مراحل القراءة **((عن التشكيل الدلالي السابق الذي منحه للموضوع الجمالي، وبناء تشكيل آخر يكون قادراً على إدماج المعطيات الجديدة التي تمنحه إياها المرحلة الجديدة والتي لم تكن متوافرة(♦) لديه في السابق))**[42]، وبهذه الآليّة يتمّ بناء التآلف والانسجام بين أجزاء العمل الأدبي.

---

[35] هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (19)، مقدّمة المترجم.

[36] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (57).

(♦) ورد في الأصل "أثناء"، والصواب : في أثناء.

[37] المرجع نفسه : ص (58).

[38] ينظر : إيزر، فولجغانج : *وضعية التأويل، الفن الجزئي والتأويل الكلّي*، في كتاب *نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويـــل*، ص (64 ، 65).

[39] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (61).

[40] المرجع نفسه : ص (60).

[41] ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (215).

(♦) ورد في الأصل "متوفّرة"، والصواب : متوافرة.

[42] شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (207 ، 208).

ويحدّد **إيزر** الطبيعة الخاصّة لوجهة النظر الجوّالة، فهي تقع ضمن منظور معيّن في كل لحظة من لحظات القراءة، لكنها لا تستقر فيه، بل تتنقّل باستمرار بين منظورات النص، وكل انتقال من منظور إلى آخر يشكّل لحظة جديدة من لحظات القراءة، فهي تبرز المنظورات النصّية، وتعمل على تنسيقها وتوليفها في الوقت ذاته، بحيث تضمن انسجامها واندماجها مع بعضها بعضاً، مشكّلة في ذلك وحدة كلّية منسجمة للعمل الأدبي تمثّل الموضوع الجمالي.

وبما أنّ وجهة النظر الجوّالة لا تستقر في أي منظور من المنظورات، فإنّ موقع القارئ لا يتقرّر إلا من خلال تآلف هذه المنظورات النصّية، والتي تتمّ بوصفها تعديلات ارتجاعيّة لمختلف لحظات القراءة، فالقراءة لا تسير إلى الأمام فقط، بل تمتد إلى المستقبل، وتعود إلى الماضي[43]؛ ذلك أنّ وجهة النظر الجوّالة تعمل على إضاءة المنظورات النصّية، فتتقابل وتتبادل التأثير فيما بينها ((**فخلال جريان زمن عمليّة القراءة يلتقي الماضي والمستقبل باستمرار في اللحظة الحاضرة، وتمكن العمليات التركيبية لوجهة النظر الجوّالة النص من المرور عبر ذهن القارئ كشبكة من العلاقات تتوسّع بشكل دائم، وهذا أيضاً يضيف بعد الفضاء إلى بعد الزمن؛ لأنّ تراكم الرؤى والتأليفات يوهمنا بالعمق والاتساع، و [...] يتكوّن لدينا الانطباع بأننا حقاً حاضرون في عالم واقعي**))[44].

ولكي يبني المتلقّي موضوعه الجمالي، عليه أن يقوم بعمليّة تركيبيّة تربط بين عناصر الذخيرة، حيث تجزىء وجهة النظر الجوّالة ((**النص إلى بنيات متفاعلة، وهذه البنيات تولّد نشاطاً تجميعياً أساسياً بالنسبة إلى فهم النص**))[45]، وهذا النشاط التجميعي يسمّيه **إيزر** "التأويل المتسق أو (الجشتالت)"[*] (Gestalt). ويرتكز فهم النص على هذه الصور (الجشتالية) التي تتشكّل في ذهن المتلقّي، أو بالأحرى على ترابطات وتركيبات هذه الصور، واندماجها فيما بينها، وعرّف **إيزر** هذه الصور الجشتالية بـــ ((**ارتباطات ذاتية بين الدلائل النصّية**))[46]، ثمّ فسّر هذا المصطلح بقوله : ((**ونقصد بمصطلح الارتباط الذاتي أنّ الروابط تشكّل الجشتالت**))[47]، وهذا يعني أنّ عمليّة فهم النص وتركيب صوره الجشتاليّة ستبقى مشروطة بعدد ((**وافر من العوامل الذاتية، ومن بينها : الذاكرة، الاهتمام، الانتباه والكفاءة الذهنية**))[48]، أمّا دور المتلقّي في الجشتالت فيكمن في تعرّفه العلامات النصّية، وكون تشكيل الصور الجشتاليّة لا يكون إلا من خلال الترابط الموجود بين العلامات النصّية والذي تفرضه استراتيجية العمل الأدبي، فإنّ مصطلح الارتباط الذاتي سيعمل على منع المتلقّي من إسقاط معان اعتباطيّة على النصّ الأدبيّ.[49]

---

[43] ينظر : إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (63 – 65).

[44] المرجع نفسه : ص (66).

[45] المرجع نفسه : ص (70).

[*] استعار **إيزر** هذا المفهوم من علم النفس الجشتالي، حيث تؤمن النظرة الجشتالية ((بالتطور الكلي للعمل، وتطالب بـــالنظر فـــي علاقـــة الأجزاء ببعضها، إيماناً بأن إدراك الجزء متوقف على إدراك بقية العناصر)). عروي، محمد إقبال: "*مفاهيم هيكليّة في نظريّة التلقّـــي*"، ص (64).

[46] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (71).

[47] المرجع نفسه : ص (71).

[48] المرجع نفسه : ص (68).

[49] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (71).

وعلاوة على ذلك، فإنّ وجهة النظر الجوّالة هي المسؤولة عن ممارسة المتلقّي لفعلي الانتقاء والإقصاء بوصفهما الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يكوّن فيها صوره الجشتاليّة؛ ولا يعني ذلك أن تتوارى العناصر المقصاة بشكل كلّي، بل تبقى احتماليّة بحيث يمكنها في أية لحظة من لحظات القراءة أن تقوّض الصور الجشتاليّة المشكّلة، وتوجّه من جديد عمليّة فهم النص، ويخلق هذا لدى المتلقّي انطباعاً مفاده أنّ أحداث العمل الأدبي وشخصيّاته قد تغيّرت دلالاتها، وهذا بدوره يؤدّي إلى تحوّل في موقفه، وتغيّر في اتجاه انتقاءاته.

إذاً، يشارك المتلقّي في أثناء تشكيله الصور الجشتاليّة في إنتاج النص، فيندمج فيه، وينسى ذاته، ويشعر أنّه يعيش حياة أخرى، وينطوي هذا التشكيل الجشتالي على نسبة من الوهم الذي يعني ممارسة المتلقّي لإسقاطاته الخاصّة في عمليّة التشكيل هذه، بيد أنّ العناصر المقصاة تعيق اندماجه في النصّ وتجعله يدرك نسبة الوهم، وذلك يؤدّي إلى قيام جدليّة بين تشكيل الوهم وإزالته، يتبع ذلك تأرجح المتلقّي بين الاندماج والملاحظة، وينتج عن هذا بناء الموضوع الجمالي، وشرح تجربة النص بوصفه حدثاً حيّاً، ويربط هذا الحدث جميع الخيوط المتعارضة للصور الجشتالية المشكلة مع بعضها جاعلاً تلك الإمكانات التي أقصتها عمليّة الانتقاء ظاهرة تمارس تأثيرها في الصور الجشتالية المغلقة.

ويرى **إيزر** أنّ معنى العمل الأدبي لا يتكوّن في أثناء عمليّة تشكيل الصور الجشتاليّة؛ لأنّ ما يعيشه المتلقّي من آمال وإحباطات وتوقعات وغيرها، ما هي إلا ردود أفعال تحدث خلال اضطراب هذه الصور، وهذا يعني أنّه يتفاعل مع ما ينتجه بنفسه، وأنّ ردود أفعاله هذه هي التي تمكّنه من اختبار النص بوصفه حدثاً حيّاً، ومن تنشيط معناه بوصفه حقيقة.[50]

وما دامت الصور الجشتاليّة تترافق مع سيرورة القراءة، فإنّها لا يمكن أن تتطابق تطابقاً دقيقاً، وكذلك المعنى **((لا يكون قط على وجه الدقّة هو المعنى نفسه))**[51]؛ ذلك أنّه يتعدل، وقد يتغيّر في كلّ مرحلة من مراحل القراءة، ومن ثمّ يؤثّر في آليّة بناء المتلقّي لصوره الجشتاليّة.

وهكذا، قام **إيزر** بتحليل آليّة اشتغال النصوص الأدبيّة من خلال مفهومي الذخيرة والاستراتيجيات النصيّة، ثمّ قارب بعد ذلك سيرورة القراءة وما يحدث في ذهن المتلقّي من أجل بناء الموضوع الجمالي. فما هو وقع سيرورة القراءة على المتلقّي ؟

يرى **إيزر** أنّ القراءة تلغي ثنائية الذات والموضوع؛ لأنّ المتلقّي في أثناء عمليّة القراءة ينشغل بأفكار المؤلّف، ويصبح ذاتاً فاعلة تقارب تلك الأفكار وتطوّرها. وهنا، لن **((يعود النص والقارئ يواجه أحدهما الآخر كموضوع وذات، وإنّما تحدث الثنائية داخل القارئ نفسه))**[52]؛ أي بين الذات ونفسها، فالمتلقّي عندما يقرأ العمل الأدبي، فإنّه يحصل على تجربة غريبة عنه، بينما تتراجع تجربته الخاصّة إلى الخلفيّة، وتصبح تلك الأفكار الغريبة أو اللامألوفة موضع اهتمامه. وما دام المتلقّي يستخرج ذلك المعنى اللامألوف فإنّ إنتاجه **((لا يستلزم مجرّد الكشف عن اللامصوغ الذي يمكن أن يضطلع به خيال القارئ الفعّال، إنّه يستلزم أيضاً إمكانيّة صوغ أنفسنا، و [...] اكتشاف ما بدا من قبل أنّه تملّص من وعينا))**[53].

---

[50] ينظر : المرجع نفسه : ص (79- 82).

[51] هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (217).

[52] آيزر، فولفغانغ: *عملية القراءة :مقترب ظاهراتي*، في كتاب *نقد استجابة القارئ من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية*،ص (137، 138).

[53] آيزر، فولفغانغ : *عملية القراءة : مقترب ظاهراتي*، في كتاب *نقد استجابة القارئ من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية*، ص (139).

وهكذا، يتمكّن المتلقّي من خلال سيرورة القراءة أن يعيد بناء ذاته، ويكتشف ما كان متوارياً عن وعيه، فضلاً عن بناء معنى العمل الأدبي.

λ الفراغات(*) Gaps

لا يقلّ مفهوم الفراغات أهمية عن المفهومات السابقة التي قدّمها **إيزر** في نظريته حول تلقّي العمل الأدبي؛ وإن كان هذا المفهوم يتميّز من غيره؛ لكونه يشكّل الأساس الذي يُبنى عليه التفاعل بين النص والمتلقّي، حيث يبرز دور المتلقي في عملية إبداع النص.

استمدّ **إيزر** هذا المفهوم من **رومان إنغاردن**، وعمل على تطويره، فذهب إلى أنّ الفراغات تحفّز المتلقّي، فتحرك ذهنه، وتنشّط خياله؛ كي يتمكّن من بناء موضوعه الجمالي. وتتمثّل هذه الفراغات **((في مجموع التّفككات التي تفصل بين أجزاء المنظورات النصيّة، ووجودها داخل النص يشير إلى سكوت النص عن ارتباطات أو علاقات دلاليّة معيّنة يمكن أن تقوم بين مختلف أجزائه وخطاطاته ويجب على القارئ أن يتمثّلها))**[54].

وقد أشار **إيزر** إلى أنّ هذه الفراغات تتموقع بين المنظورات النصيّة، وينبغي على المتلقّي أن يقدّم مجموعة كبيرة من التشكيلات الدلاليّة، وهو يجول في فضاء النصّ منقّلاً وجهة نظره الجوّالة من منظور إلى آخر، يحاول الربط والتوليف والتركيب بين هذه المنظورات المختلفة لملء هذه الفراغات ؛ ذلك أنّ كل متلقٍ يملأ **((الفجوات بطريقته الخاصّة، ليقصي بذلك الإمكانيات المتنوّعة الأخرى، فعندما يقرأ سوف يتّخذ قراره الخاص حول الكيفية**

(*) تجدر الإشارة إلى أنّ هذا المفهوم كغيره من المفهومات السابقة قد ترجم في أكثر من صيغة؛ نذكر على سبيل المثال:

- الفراغات : ينظر :
  - هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (219).
  - أبو أحمد، حامد : *الخطاب والقارئ*، ص (130).
  - السيد، غسان : *تطبيق المناهج النقدية الأوربية على الأدب العربي*، نظرية التلقي نموذجاً، في كتاب *في نظرية التلقّي*، تأليف جان ستاروبينسكي، إيف شيفريل، دانييل هنري باجو، دار الغد، دمشق، سورية، ط (1)، 2000، ص (117).
  - دحامنية، مليكة : *هرمينوطيقيا النصّ الأدبي في الفكر الغربي المعاصر*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، سلسلة الدراسات (10)، 2008، ص (118).
  - التمارة، عبد الرحمن : "*نحو تأسيس رؤية جديدة لقراءة النصّ الأدبيّ*"، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، م (11)، ج (58)، 2005، ص (134).
- البياض : ينظر :
  - شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (225).
  - شويرويجن، فرانك : *نظريات التلقّي*، في كتاب *نظريات القراءة (من البنيوية إلى جمالية التلقّي)*، ص (148).
- الفجوات : ينظر :
  - صالح، بشرى موسى : *نظريّة التلقّي، أصول وتطبيقات*،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط (1)، 2001، ص (49).
- مواقع اللاتحديد : ينظر :
  - إيغلتون، تيري : *نظريّة الأدب*، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1995، ص (135).
  - خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّة التلقي*، ص (154).
  - عروي، محمد إقبال : "*مفاهيم هيكليّة في نظريّة التلقّي*"، ص (57).

(54) شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص (225).

التي تُملأ فيها الفجوة [...] وعبر اتخاذ قراره يعترف القارئ ضمناً، بلانفادية النص، وفي الوقت نفسه فإنّ هذا اللانفاد نفسه هو الذي يضطرّه إلى اتّخاذ قراره))[55].

وما دامت الفراغات المتموقعة بين المنظورات النصّية غير محدّدة، فإنّ عدم تحديدها هو الذي يفعّل العلاقة بين النص والمتلقّي؛ لأنّ الأعمال الأدبيّة لا يمكن أن تُحدَّد بشكل كامل ومستقل كما هي حال الموضوعات الواقعية والمثاليّة، بل هي موضوعات قصديّة ينقصها التحديد الكامل، وهذا بدوره يفضي بنا إلى أنّ عمليّة مراقبة التفاعل بين الفراغات لا يمكن أن تكون دقيقة ولا محدّدة، بيد أنّ ذلك لا يعني الوقوع في الاعتباطيّة؛ لأنّ التواصل والتفاعل والتبادل في الأدب **((هو عمليّة لا يحرّكها ولا ينظّمها سنن معطى، بل تفاعل مقيّد وموسّع بطريقة متبادلة بين ما هو صريح وضمني، بين الكشف والإخفاء. إنّ ما هو خفي يحثّ القارئ على الفعل، ولكن هذا الفعل يكون مراقباً أيضاً بما هو مكشوف، ويتغيّر ما هو صريح بدوره عندما يُبرَز إلى الضوء))**[56]. وهكذا، تتبادل هذه العناصر المكشوفة والمخفيّة، الصريحة والضمنيّة، الحاضرة والغائبة عمليّة المراقبة والإضاءة والتأثير فيما بينها، في محاولة تشكيل الموضوع الجمالي.

ويرى **إيزر** أنّ التفاعل بين النصّ والمتلقّي يبدأ بمجرّد ملء فراغات النصّ، وهذا التفاعل مضبوط بواسطة فراغات النصّ وأشكال النفي أو السلب (Negative)، حيث تثير الفراغات القائمة في النص **((عمليّة التصوّر التي يقوم بها القارئ بناء على شروط يضعها النصّ [...] فالبياضات تترك الروابط مفتوحة بين المنظورات في النص و [...] تحث القارئ على التنسيق بين هذه المنظورات. وبكلمات أخرى تحث القارئ على إنجاز العمليّات الأساسيّة داخل النص. أمّا مختلف نماذج النفي فتستحضر(♦) العناصر المألوفة أو المحدّدة لكي تعمل فقط على إلغائها. ومع ذلك فإنّ ما يُلغى يبقى ظاهراً، و [...] يحدث تعديلات في موقف القارئ تجاه ما هو مألوف أو محدّد. وبمعنى آخر فالقارئ موجَّه ليتبنّى موقفاً يتعلّق بالنص))**[57].

من الملاحظ أنّ الفراغات تثير خيال المتلقّي، وتدفعه إلى تمثّل موضوع النصّ، ويعمل هذا النشاط التخييلي للمتلقي على التنسيق بين منظورات النص المختلفة، ويكون محكوماً بتوجّهات البنية النصّية. هذا وإنّ المتلقّي في أثناء سيرورة القراءة يصبح على وعي بالمعايير السائدة والمألوفة في مجتمعه، ومن خلال ملئه فراغات النص، يكتسب رؤية جديدة تظهر فيها تلك المعايير قديمة وغير صالحة، وهنا، يقع السلب الذي يشكّل مقولة مهمّة لنظريّة **إيزر**، حيث يلمّح إلى أنّ العمل الأدبي يتميّز بما فيه من أشكال السلب الذي يعدّ عاملاً مهمّاً في تحديد القيمة الأدبيّة؛[58]

---

[55] آيزر، فولفغانغ : *عملية القراءة : مقترب ظاهراتي*، في كتاب *نقد استجابة القارئ من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيويـة*، ص (120 ، 121).

[56] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة*، ص (100).

[♦] ورد في الأصل "تستحضر"، والصواب : فتستحضر.

[57] المرجع نفسه : ص (101 ، 102).

[58] ينظر : هولب، روبرت : *نظريّة التلقّي*، ص (222، 223).

الخاتمة:

بناء على ما سبق يمكن القول :

- إنّ بناء معنى العمل الأدبيّ لا يكون إلا من خلال متلق يقرأ هذا العمل، ويتفاعل معه، وهذا يعني أن المتلقي لم يعد تلك الذات السلبية، بل أصبح فاعلا وحيويا يشارك في إنتاج معنى النص.
- يتمّ إدراك المعنى من خلال العمل الأدبيّ نفسه؛ أي من خلال الذخيرة التي تشكّل حقولا مرجعية خارج النص، ومكاناً مألوفاً لالتقاء النص والمتلقي من أجل البدء في عملية التفاعل لإنتاج المعنى.
- إنّ عملية إنتاج المعنى ليست بالاعتباطية؛ إذ تقوم الاستراتيجيات النصية بتنظيم شروط تلقي العمل الأدبيّ، وتقدم إرشادات عمليّة للمتلقي يبني عليها فعل قراءته.
- لا يمكن إدراك معنى العمل الأدبيّ في كليته، بل يتم ذلك على مراحل متعددة؛ لأنّ كلّ مرحلة من مراحل القراءة تقدّم جانباً محدّداً من الموضوع ، وكلما توغّل القارىء في القراءة تكشف له المعنى، فهناك وجهة نظر جوالة تتجول في فضاء النصّ، وتنتقل بين منظوراته المختلفة، ومن خلال عمليّة التنسيق والتوليف بين هذه المنظورات يتمّ التوصل إلى بناء المعنى.
- تشكّل الفراغات الأساس الذي تبنى عليه عمليّة التفاعل بين العمل الأدبيّ والمتلقي، وهنا يبرز الدور المهمّ والفعّال للمتلقي في عملية خلق النصّ.

وبذلك يكون إيزر قد قام بمقاربة الآليّة التي تتمّ فيها سيرورة القراءة، كاشفاً عن مدى انشغال المتلقي في عوالم العمل الأدبيّ، وكيفيّة تفاعله معها بأدقّ التفصيلات، وذهب إلى أنّ الموضوع الجمالي أو بناء المعنى لا يتحقّق في العمل الأدبيّ، ولا في محفل القراءة، وإنما في نقطة التقاطع بينهما. وهنا، تكمن أهميّة إيزر وأهميّة مقولاته التي قدّمها للقرّاء.

المراجع:

1. أبو أحمد، حامد : *الخطاب والقارئ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة*، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، السعودية، ع (30)، 1996.
2. آيزر، فولفغانغ : *عملية القراءة : مقترب ظاهراتي*، في كتاب *نقد استجابة القارئ من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية*، تحرير : جين ب. تومبكنز، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم، مراجعة وتقديم: محمد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، 1999.
3. إيزر، فولفجانج : *آفاق نقد استجابة القارئ*، ترجمة أحمد بو حسن، *في كتاب نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل*، نصوص مترجمة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2004.
4. إيزر، فولفجانج : *وضعية التأويل، الفن الجزئي والتأويل الكلي*، ترجمة : أحمد بو حسن و جفو نزهة، في كتاب *نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل*، نصوص مترجمة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط (1)، 2004.
5. إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)*، ترجمة حميد لحمداني، الجلالي الكدية، فاس، المغرب، 1995.

6. إيغلتون، تيري : *نظريّة الأدب*، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1995.
7. ايفرار، فرانك، وتينه إيريك : *رولان بارت، مغامرة في مواجهة النص*، ترجمة : وائل بركات، دار الينابيع، دمشق، سورية، ط (1)، 2000.
8. التمارة، عبد الرحمن : "*نحو تأسيس رؤية جديدة لقراءة النصّ الأدبيّ*"، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، م (11)، ج (58)، 2005.
9. خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّة التلقي*، دار الشرق، عمّان، الأردن، ط 1، 1997.
10. دحامنية، مليكة : *هرمينوطيقيا النصّ الأدبي في الفكر الغربي المعاصر*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، سلسلة الدراسات (10)، 2008.
11. زيّاد، صالح : القارئ القياسي، القراءة وسلطة القصد والمصطلح والنموذج، مقاربات في التراث النقدي، دار الفارابي، بيروت، لبنان،ط1، 2008.
12. السيد، غسان : *تطبيق المناهج النقدية الأوربية على الأدب العربي*، نظرية التلقي نموذجاً، في كتاب *في نظرية التلقّي*، تأليف جان ستاروبينسكي، إيف شيفريل، دانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، دار الغد، دمشق، سورية، ط (1)، 2000.
13. شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة*، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر – الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
14. شويرويجن، فرانك :نظريات التلقّي، في كتاب *نظريات القراءة (من البنيوية إلى جمالية التلقّي)*، ترجمة : عبد الرحمن بو علي، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط (1)، 2003.
15. صالح، بشرى موسى : *نظريّة التلقّي، أصول وتطبيقات*،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط (1)، 2001.
16. عروي، محمد إقبال : "*مفاهيم هيكليّة في نظريّة التلقّي*"، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م (37)، ع (3)، 2009.
17. قديد، دياب : "المبدع والنص والقارئ : آيزر نموذجا"، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ع (467)، 2002.
18. المتقن، محمد : "*في مفهومي القراءة والتأويل*"، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م(33)، ع (2)، 2004.
19. هولب، روبرت : *نظريّة التلقي، مقدّمة نقديّة*، ترجمة عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، رقم السلسلة 97، ط 1، 1994.